سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ / ٧١٥ ـ ٧١٧م)

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عمر شمس القرشي الأموي أبو أيوب وأمه ولأدة بنت العباس بن جزء العبسية ولد 54هـ ٦٧٤م في المدينة ونشأ في الشام، وأحب البادية والإقامة فيها، فبي فيه قصراً كان ينزل فيه، وهو أفضل أولاد عبد الملك كان سليمان ديناً فصيحاً مفوَّهاً عادلاً محباً للغزو، وقد أنقذ الجيش الحصر القسطنطينية، وتدل خطبته التي أدلى بها يوم اعتلائه الخلافة على ورع وتقوى وخوف من الله على الرغم مما اتصف به من حب العظمة والتفوق روى الحديث عن أبيه تر جده عن عائشة أم المؤمنين في حادثة الإفك .

كان سليمان من أكبر أعوان أخيه الوليد، فكان له كالوزير والمشير واستحثه على بناء مسجد دمشق ولي فلسطين لأخيه، وكان لا يزال واليها حين توفي الوليد، فأخذت له البيعة في دمشق وكان بالرملة، وقد تولى هذا الأمر ابن عمه عمر بن عبد العزيز، وقد اتخذه مستشاراً ووزيراً بعد ذلك .

سياسة سليمان الداخلية :

استهل سليمان عهده بعزل بعض ولاة الوليد كان من بينهم محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير، والجدير بالذكر أن الحجاج كان قد توفي قبل أن يتولى سليمان الخلافة، وعين الخليفة الجديد ولاة جدداً على الأقاليم والراجح أن فكرة تغيير عمال الحجاج جاءت بتأثير من عمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة. وقد أساء بعض المؤرخين استيعاب هذه الفكرة وصوروها على أنها سياسة عاطفية، لا تقيم وزناً لمصلحة الأمة، فاتهموا سليمان بأنه عزل ولاة الحجاج ونكل بهم انتقاماً منهم ومن الحجاج لا لشيء إلا لأن هذا الأخير وولاته كانوا قد أيدوا اخاه الوليد عندما أراد أن يعزله عن ولاية العهد وأن يولي ابنه عبد العزيز. وهذه نظرة ضيقة للأمور، وسطحية، وبعيدة عن الواقع تماماً، فالأمر لم يكن أمر عواطف وانتقاماً شخصياً بل أعمق من ذلك بكثير، وإنما هي سياسة عامة للدولة رسمها سليمان بالتعاون والتشاور مع كبار مستشاريه. وجاء هذا التغيير نتيجة تبدل الظروف السياسية، بعد أن عم الهدوء والسلام والاستقرار أرجاء الدولة، خاصة بعد اتساع الفتوحات، فكان من الحكمة أن يتغير أسلوب الحجاج في الإدارة والحكم، وأن يستجيب الخليفة لتلك الرغبة العامة لدى غالبية المسلمين ويُعتبر تصرفاً طبيعياً في وقت تغير فيه رأس الحكم ووصفه سليمان بأنه تثبيت لسلطانه بحيث يضمن عناصر تسانده و تدعمه.

وعمد الخليفة إلى إطلاق سراح آلاف المسلمين المعارضين للحكم الأموي من السجون، خاصة الموالي، وأشركهم في الجيش الإسلامي وضاعف العطاء حتى بلغ صيب الفرد كل شهر نحواً من ٢٥ درهماً وتوقف عن مقاومة الهجرة بالأساليب

العنيفة التي ظهرت في عصر الحجاج، وبدأ يخفف من وطأة الظاهرة الاقتصادية ولعل هذه السياسة كانت السبب في رضاء المسلمين عامة عن سليمان وثنائهم عليه .
وكانت نهاية قادة الفتح محزنة حقاً؛ فقد قتل محمد بن القاسم على يد صالح بن عبد الرحمن عامل الخراج على العراق، بفعل أحقاد شخصية على الأرجح، ولم يثبت أن الخليفة أمر بقتله. وذهب قتيبة بن مسلم ضحية تسرعه، حين شك في نوايا سليمان تجاهه، فخلعه وأعلن العصيان قبل أن يتيقن من حقيقة الأمر، فعارضه أتباعه وقتلوه، والجدير بالذكر أن الخليفة أبقاه في حاكمية خراسان.

أما موسى بن نصير، فقد وضع في الإقامة الجبرية، بعد أن قدم كشفاً بأعماله وتبين أنه ارتكب بعض المخالفات، فعتب عليه الخليفة، لكن ضمه إلى مستشاريه واصطحبه معه إلى الحج في عام (٩٧ هـ/716م) ومات في المدينة وقيل في وادي القرى.

سياسة سليمان الخارجية

ا- جبهة المشرق

لم تحدث فتوحات إسلامية جديدة في جبهة المشرق بعد وفاة كل من محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم، وذلك لأن الظروف السياسية التي مرت بها دولة الخلافة الأموية منذ هذا التاريخ أي بعد عام (٩٨) هـ / ٧١٧ م) وحتى سقوطها عام (١٣٢) هـ / ٧٥٠ م) ، لم تكن تسمح بذلك. فقد انشغلت بإخماد الحركات التي بدأت تهب في وجهها من جديد مثل حركات الخوارج وحركة يزيد بن المهلب كما الخلافات تجددت بين العرب في خراسان وقد استغلها العباسيون لصالحهم حيث

بدأت دعوتهم السرية كما أن التناحر قد احتدم بين أفراد البيت الأموي مما أضعف هيبة الدولة، بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه البلاد الشرقية التي فتحها المسلمون، لم تكف عن التمرد والعصيان وإشعال نار الثورات حتى أضحى جهد الخلفاء والولاة منصباً على إخضاع الثائرين .

لكن الواضح أنه بالرغم من أن الأمويين في هذه المرحلة، لم يتمكنوا من إضافة أي جديد يُذكر على فتوحاتهم، إلا أنهم استطاعوا المحافظة على المكتسبات التي تحققت، وبذلوا قصارى جهدهم في تثبيت أقدام المسلمين في الأقاليم الشرقية .

ب - الجبهة البيزنطية

كان الحدث الكبير الذي شهده عهد سليمان على هذه الجبهة هو حصار القسطنطينية، إذ لم يكن هذا الخليفة بأقل رغبة من أخيه الوليد في فتحها، وكاس كثيراً من جهوده في الإعداد للزحف عليها، واستمر في الوقت نفسه بإرسال الحملات الغزو أراضي البيزنطيين في مناطق الحدود في آسيا الصغرى، وعلى الطرق المؤدية إليها بهدف إلهاء السلطات البيزنطية، والتمويه على الهدف الرئيس .

ففي عام (٩٦ هـ / ٧١٥م) فتح المسلمون حصن الحدود، وفي العام التالي فتحوا حصن المرأة) ، ثم مهد الخليفة لحملته الكبرى بغزوة بحرية بقيادة عمر بن هيرة الفزاري . وأشرف الخليفة بنفسه على استعدادات الحملة واختار لقيادتها أخاه مسلمة الذي يُعتبر من ألمع القادة العسكريين المسلمين وصاحب فكرة مهاجمة القسطنطينية مباشرة دون التمهيد بفتح المدن والمعاقل المؤدية إليها وتمصيرها وقد تماس هذا القائد على قتال البيزنطيين وعرف أرضهم وأساليبهم في حين تولى قيادة الأسطول الإسلامي أمير البحر سليمان وأخذ مسلمة كافة الاحتياطات التي تكفل النجاح لحملته، من حيث العتاد
والمؤن والأخشاب اللازمة لإقامة بيوت تقي المسلمين برد الشتاء وقد حشد الخليفة تحت قيادته قوات بلغت ١٨٠ ألف جندي جمعها من أهل الشام والجزيرة والموصل، بالإضافة إلى ١٨٠٠ قطعة بحرية واتخذ من دابق معسكراً له وأعطى الله عهداً أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش القسطنطينية. ومن هذا المكان قام الخليفة بتعبئة الجيش الذي تحرك في عام (٩٨هـ ٧١٧ م) باتجاه العاصمة البيزنطية، سالكاً
طريق مرعش من ناحية الشام.
ومن جهته، فإن الأمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثالث استعد لمقاومة حصار شديد على عاصمته، فرمم الأسوار وخزن الغلال ومن ثم راح يناوش الجيش
الإسلامي لعرقلة تقدمه، لكن دون جدوى.
ووصل الجيش الإسلامي إلى ثغر الأناضول، بعد أن اجتاز مناطق الثغور الحدودية وتوغل في هذا الإقليم حتى وصل إلى عمورية وحاصرها. علم ليو الايسوري قائد هذا الثغر، بنوايا المسلمين فأبدى استعداده للتعاون معهم، وكان طموحا يتطلع إلى انتزاع العرش الأمبروطوري، فاتفق مع مسلمة على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطنطينية وترفعه إلى العرش ثم واصل المسلمون تقدمهم

فاجتازوا ثغرات الأناضول دون أية مقاومة جدية، وأضحت منطقة آسيا الصغرى حتى البوسفور مفتوحة أمامهم في هذه الأثناء، حصلت تطورات داخلية مهمة في بيزنطية تمكن خلالها ليو الأيسوري من ارتقاء العرش باسم ليو الثالث، واشتهر بأنه الرجل الذي يستطيع مواجهة الأخطار التي تتهدد العاصمة بعد أن تنكّر لاتفاقية السلام التي عقدها مع مسلمة، فخدع المسلمين وتحايل على تجريدهم من أقواتهم ، في الوقت الذي اقترب فيه الجيش الإسلامي من بحر إيجة وسيطر على مدينتي ساردیسوبرجاموس وتقدم إلى أبيدوس على مضيق الدربيل، ثم عبر إلى الشاطىء الأوروبي، فألفى افراده انفسهم عند أسوار القسطنطينية وحاصروها من جهة البر.
وتحرك في الوقت نفسه، الأسطول الإسلامي الضخم باتجاه الدردنيل وبحر مرمرة، وحاصر المدينة من جهة البحر، وتمكن من إغلاق الممرات المؤدية إلى البحر السود وهكذا تعرضت القسطنطينية الحصار بري وبحري شديدين.
أراد مسلمة اقتحام المدينة عنوة، فنصب عليها المجانيق الضخمة وأخذ يضربها لكن ردته مناعة الأسوار ومهارة المهندسين البيزنطيين، وتوفر أدوات الدفاع لديهم وجاءت عاصفة عاتية، حطمت عدداً من السفن الإسلامية، وأحدثت تزعزعاً في مسيرتها، فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة وأحرقوا عدداً كبيراً منها بالنار الإغريقية وبالرغم من ذلك استمر المسلمون يحكمون الحصار على المدينة .

وظهرت آنذاك مواهب ليو الثالث العسكرية، فأغلق مدخل البوسفور بسلسلة ضخمة من الحديد لإحكام السيطرة عليه، وشحن الأسوار بالعساكر، الذين بذلوا جهوداً كبيرة لمنع المسلمين من اقتحام المدينة، وملأ المخازن، وأرسل جيشاً لقطع طريق الإمدادات على المسلمين .

أقلقت هذه التدابير المسلمين، لكنها لم توهن عزيمتهم، فبنى مسلمة بيوتا من الخشب أمضى فيها فصل الشتاء، كما وصلته إمدادات برية من أفريقيا، وإمدادات بحرية من مصر، كان من ضمنها جماعة من البحارة المسيحيين، وقد ساعدته هذه الإمدادات على إحكام وتشديد الحصار، كما أطالت أمد الحرب، وأرسل الخليفة ابنه داوود على رأس جيش لدعمه وإثارة الاضطرابات في آسيا الصغرى على الحكم البيزنطي لكن داوود فشل في تحقيق هذين الهدفين، إذ لم يتمكن من الوصول إلى مسلمة كما أن قبضة ليو الثالث على آسيا الصغرى حالت دون تحقيق الهدف الثاني.

في هذا الوقت عجز الجيش الإسلامي من تطويق الجبهة الشمالية للعاصمة البيزنطية، مما مكنها من الاتصال بسواحل البحر الأسود التي أمدتها بحاجاتها من الغلال والمؤن، في حين أخذت

الإمدادات والمؤن لدى المسلمين بالتناقص، بعد فشل وصولالإمدادات من الشام، على الرغم من أنهم كانوا يأكلون مما يزرعون ويغتنمون.

وجاء البرد قارساً في تلك السنة ففت في عضد المسلمين، وهاجمهم البلغار من الجانب الأوروبي، بالاتفاق مع ليو الثالث، وتغلبوا على القائد البحري عمر بن هبيرة. وأبعدوهم عن العاصمة، وأنزلت النار الإغريقية التي استعملها البيزنطيون أضراراً جسيمة جداً بالسفن الإسلامية ومما زاد الأمر سوءاً ما جرى من تواطئ البحارة المسيحيين الذين يعملون في الأسطول الإسلامي، مع البيزنطيين بعد أن نجح ليو الثالث في تحريضهم على العصيان وما جرى من نفاذ الأقوات، وطول أمد الحصار. الذي استمر ما يزيد على السنة، وطول خط الإمدادات ثم وفاة سليمان واعتلاء عمر بن عبد العزيز سدة الخلافة، الذي لم يكن يميل إلى مواصلة سياسة الفتوح، لما تكلفه من أرواح ونفقات؛ جعلت المسلمين في موقف حرج، ولم ينقذهم سوى كتاب عمر بن العزيز إلى مسلمة بأمره فيه بفك الحصار عن القسطنطينية والعودة إلى الشام .
ورفع مسلمة الحصار في شهر ذي الحجة عام ٩٩ هـ شهر تمور عام 718م وقام ما تبقى من الأسطول بنقل الجيش البري، إلى آسيا الصغرى، لكنه تعرض العاصفة أثناء عبوره الأرخبيل فتشتت السفن وهاجمها البيزنطيون ولم ينج منها سوى عشر.
يعتبر هذا الهجوم الأخير الذي قام به المسلمون العرب لفتح القسطنطينة وكان بداية التغير ميزان القوى، للفترة من الزمن، في الصراع بين المسلمين والبيزنطيين الصالح هؤلاء، كما أثر هذا الفشل في الاستراتيجية العسكرية للمسلمين في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، فتحولوا من أسلوب الهجوم إلى أسلوب الاشتباكات والمناوشات التي لم تهدد كيان الإمبراطورية.

ولاية العهد - وفاة سليمان

كان سليمان بن عبد الملك قد عهد لابنه أيوب من بعده فمات هذا الاخير وهو والي للعهد. فلما مرض سليمان استشار رجاء بن حيوة في تولية عمر بن عبد العزيز موافقه على ذلك وكتب كتاباً فيه عهده إليه .

توفي سليمان العشرين بقين من شهر صفر عام ٩٩ هـ/ شهر أيلول عام ٧١٧ م)
وهو مرابط في سبيل الله في دابق من أرض قنسرين.